ثقافته المجتمع في عصر الدولة العباسية (132-656هـ/750-1258م)

د. جمعه الغريب ضو الورشفاني - كلية الآداب والعلوم قصر الأخيار - جامعة المرقب

Community culture in the Abbasid era (132-656 AH / 750-1258 AD)

Abstract:

With the development of social life in the Abbasid ara. Cultural life also developed. the Abbasid state had a great influence on the social and cultural structure of a society that included multicultural sects dominated by Islam and Arab cultur, where non-Arab elements mixed with the Arab element, due to the geographical expansion of Arab Islamic conquests, and the accompanying friction with the feelings of those conquered countries, and those peoples, and the resulting mixing with non-Arab traditions and cultures.

الملخّـــص:

مع تطــوّر الحياة الاجتماعية في العصر العباسي تطورت الحياة الثقافية – أيضاً-، وكان للدولة العباسية تأثير كبير على التركيبة الاجتماعية والثقافية في مجتمع شمل طوائف متعددة الثقافات، يسودها الإسلام والثقافة العربية، حيث اختلطت العناصر غير العربية بالعنصر العربي، بسبب التوسّــع الجغرافي للدولة، نتيجة توسع الفتوحات العربية الإسلامية، وما صاحب ذلك من احتكاك بشعوب تلك البلدان المفتوحة، وما نتج عنه من تزاوج بين العرب وتلك الشعوب، وما نتج عن ذلك من امتزاج مع التقاليد والثقافات الغير العربية.

المقدمـــــة:

منذُ أن أسس الرسول الكريم - صل الله عليه وسلم - الدولة العربية الإسلامية وأرسى قواعد المجتمع الإسلامي، تم تغير النظام القائم على الولاء للقبيلة ودمها ونسبها، وأحل مكانه النظام الذي يعتمد على الولاء للإسلام، حيث أصبحت رابطة الإيمان والعروبة هي الأساس.

وهذه الرابطة كانت واسعة وتشمل كل من يؤمن بالإسلام، وأكد القرآن الكريم على الأخوة بين المسلمين كما في قوله – تعالـــى -:﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ**

﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (1) ، كما جاء في قوله – تعالى-: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(2)

مشكلة البحث:

لقد تطـوّر المجتمع العربي الإسلامي مع مرور الزمن ، وأبتعد تدريجيا عن ولاء القبيلة ، ولازمت هذه المرحلة عصر الخلفاء الراشدين ، ومن ثم الدولة الأموية التي شهدت بعض التغيرات نتيجة الصراعات التي نشأة خلالها ، ثم قامت على أنقاضها الدول العباسية التي كان لها تأثير كبير على التركيبة الاجتماعية والثقافية للمجتمع الإسلامي ، حيث اختلطت فيه العناصر غير العربية بسبب توسع الدولة الجغرافي نتيجة للفتوحات العربية الإسلامية ونشر الإسلام وثقافة المسلمين واحتكاكهم بغيرهم من تلك الشعوب التي تقطن تلك البلدان المفتوحة ، مما أدى كذلك إلى بروز الترف والتباين الثقافي ، وتزاوجت فيه التقاليد العربية ، مع التقاليد والثقافات الغير العربية ، مما أثر في جوانب كثيرة من النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية(3)

تساؤلات البحث:

ولعل من أهم ما يمكن طرحه من تساؤلات في هذه الدراسة، هو لماذا تم تقسيم الدولة العباسية لأربعة عهود تاريخية من قبل المؤرخين؟

ما هي مكونات المجتمع العباسي؟

ماهي الآثار التي ترتبت على دخول العناصر الغير العربية في جسم الدولة العباسية؟

هل حظيت الدولة العباسية بموروث ثقافي نتيجة دخول العناصر غير العربية وانصهارهم داخل مكونات المجتمع العباسي؟

أهداف البحث:

ـ معرفة لماذا تم تقسيم الدولة العباسية لأربعة عهود تاريخية من قبل المؤرخين.

ـ التعرف على مكونات المجتمع العباسي.

ـ توضيح الآثار التي ترتبت على دخول العناصر الغير العربية في جسم الدولة العباسية.

ـ معرفة كيف حظيت الدولة العباسية بموروث ثقافي نتيجة دخول العناصر غير العربية وانصهارها داخل مكونات المجتمع العباسي.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذه الدراسة في إظهار أحد الجوانب الحضارية المهمة في تاريخ الدولة العباسية ألا وهو الحياة الاجتماعية والثقافية، وما كان لها من أثار إيجابية وسلبية في التاريخ الإسلامي والحضارة العربية الإسلامية.

الدولة العباســـــية:

قسّم العهد العباسي إلى أربعة عصور وهي كالتالي: العصر العباسي الأول (132 - 232هـ / 750- 846م)، ثم العصر العباسي الثاني (232- 334 هـ/ 846- 945م)، ثم العصر العباسي الثالث (334 - 447هـ / 945-1055 م)، ثم العصر العباسي الرابع (447- 656 هـ / 1055- 1258م). ويسمى العصر العباسي الأول بالعصر الذهبي، وفي هذا العصر أندمج العنصر الفارسي مع العنصر العربي ويمكن وصف عصرهم بعصر النفوذ الفارسي، ويسمى العصر العباسي الثاني بعصر النفوذ التركي، سمة هذا العصر أنه أتسم بدخول العنصر التركي في الجيش مما جعلهم أصحاب النفوذ الأقوى، وأما العصر العباسي الثالث، فيسمى بالعصر البويهي، وفيه أزداد نفوذهم وسيطروا على مقدرات الأمور وأما العصر العباسي الرابع فيسمى عصر النفوذ السلجوقي، وفيه سيطر السلاجقة على مقدرات الأمور (4)

ومن هنا يمكن القول إن هذه الدولة عاشت (524) سنة هجرية، (508) سنة ميلادية وهي فترة طويلة لأكثر من خمسة قرون، تستحق الاهتمام من قبل المؤرخين والدراسة حول تفاصيل تاريخها الحضاري، رغم كل الكتابات التي أنصبت على الجانب السياسي وتفاصيله، وأهمل الجانب الحضاري من عمر هذه الدولة.

وإذا ما تسألنا لماذا قسم المؤرخون تاريخ الدولة العباسية إلى أربعة أقسام؟ لوجدنا أن الإجابة تكمن في طول عمر الدولة ولكي يسهل على الباحث في تاريخها فهم ما يدور في فلك هذه الدولة المترامية الأطراف

الحياة الاجتماعيـــــــة:

التشـــريع: ينقسم إلى قسمين هما: أهل الرأي، وأهل الحديث، ويمثل أهل الحديث الحجازيون، ويمثل أهل الرأي العراقيون، وأصبحت لكليهما شعار وأعلام، ومدارس، فقد مثل أهل الحديث الحجازيون، وخاصة الدينيين منهم وعلى رأسهم مالك بن أنس وتلاميذه بينما حمل أعلام الرأي العراقيون، وخاصة الكوفيين، وعلى رأسهم أبو حنيفة النعمان.

المجتمع العباســـــي: عرف العهد العباسي تحوّلات اجتماعية مهمة تمثلت في توسّع نشــر الإسلام، وازدياد التمازج الاجتماعي، وبروز العناصر غير العربية، وبخاصة الفرس والأتراك في مختلف المجالات، وزاد انتشار الإسلام بين الأوساط الاجتماعية ؛ ففي داخل حدود الدولة أقبل الكثير من المجوس ببلاد فارس وبلاد ما وراء النهر، ومن المسيحيين واليهود على اعتناق الإسلام، ويمكن مرد ذلك إلى اعتبار أن العباسيين أنفسهم حُماة للدين الإسلامي، بصيفتهم دولة خلافة يأتي على عاتقهم نشر الإسلام، بطريقة سلمية، كما أن بساطة الدين الإسلامي والعقيدة الإسلامية وما فيها من مرونة وسلام، جعلت كثير من أتباع الديانات والمذاهب المسيحية واليهودية، الذين يضطهدون بعضهم بعضاً يلجؤون إلى الإسلام، كما أن دافع المصلحة الذي جعل العديد من الذميين يعتنقون الدين الإسلامي بدافع الإعفاء من دفع ضريبتي الجزية والخراج.، وكما أنه كان لنشاط دعاة المذاهب الدينية، كالشيعة والخوارج الدور الفاعل في إسلام الكثيرين

وفي خارج حدود الدولة انتشر الإسلام عن طريق الجوار في مناطق آسيا الوسطى انطلاقاً من إقليم خور سان، وفي الهند انطلاقاً من إقليم السند، ومنها إلى جزر جنوب شرق آسيا والصين، وكان لبعض التجار الذين استوطنوا في تلك البقاع وبنوا بها مساجد الدور الفاعل في إسلام أهل تلك البلدان.

إن المقصود بالحياة الاجتماعية في دولة من الدول، هو ذكر طبقات المجتمع في تلك الدولة، من حيث الجنس والدين، والعلاقة بين هذه الطبقات، ثم التطرق إلى نظام الأسرة وحياة أفرادها، وما يتمتع به كلاً منهم من حرية، ثم وصف البلاط، ومجالس الخلفاء والأعياد والمواسم، والولائم، والحفلات، وأماكن التنزه، ووصف المنازل وما بها من أثاث وطعام، وشراب ولباس، وما إلى ذلك من مظاهر المجتمع (5) .

وكان العصر العباسي الأول الانطلاق الاجتماعي المهم للطبقة الحاكمة وأعوانهم من التجار والرأسماليين وملاك المال والإقطاعيين ، حيث كانت قصورهم تشتمل على دور واسعة وقباب وأروقة وبساتين ومسطحات مضللة بالأشجار وقد شيد المنصور قصر الذهب وسط بغداد ، وقصر الخلد على أحد ضفاف دجلة ، وكان الطعام والشراب صورة من هذا المستوى الاجتماعي الرفيع حفلت به موائد الملوك ، ويلبسون أفخر الملابس في حياتهم الخاصة والعامة ، وهناك ظاهرة أخرى كان لها أثر كبير في تحديد معالم التطور الاجتماعي وهي ظاهرة الانتشار الواسع للإسلام ونجاح الدعوة إليه.

ومن ناحية الحكم فقد أدت سياسة المشاركة بين العرب وغيرهم في الحكم والنفوذ والفتح، وملكية الأرض إلى دخول أغلب القبائل في الإسلام (6)

مكونات المجتمع العباسي:

المجتمع العباسي مجتمع متنوع تعددت واختلفت فيه الطبقات الاجتماعية، بحيث صاحب النظام الاجتماعي نوع من التطور مع توسع الدولة العباسية وتنوعها الثقافي والعرقي نتيجة لتوسع الفتوحات العربية الإسلامية (7)

ومن أهم العوامل التي غيرت المجتمع هو التوسع في نشر الإسلام، فقد تقبل المجتمع التشريع الإسلامي، الذي بدوره نظم الأسرة والاخلاقيات، وأدب السلوك والعلاقات الاجتماعية، ومن أهم الظواهر في العصر العباسي ظاهرة التولد أو المولدين، أي: الامتزاج بين العناصر العربية المهاجرة، وأهل البلاد المفتوحة والتي أقام فيها العرب، واستقروا بين سكانها الأصليين، وأصبح البيت الإسلامي مزيجاً من الأجناس (8)

الطبقة الحاكمة: يأتي الخلفاء والأمراء في قمة الهرم الاجتماعي وكان الخلفاء العباسيون هم الذين يتمتعون بالسلطة المطلقة في الدولة، ثم يأتي الأمراء والولاة المسئولين على أقاليم الدولة ومدنها المختلفة من العاصمة بغداد (9) وحتى كامل أطراف الدولة المترامية.

ويمكن تفصيل كل فئة من مكونات المجتمع الحاكم على حدة حسب الآتـــي:

1- طبقة الأشـــــراف: قبل الإسلام كان الشرف في المجتمع العربي يعتمد على النسب والحسب ، أي الانتماء إلى قبيلة معينة ، بالإضافة إلى تحقيق بعض الصفات الشخصية مثل الشجاعة ،والكرم ، والإباء ، والخلق ، والحكمة ، وكانت القبائل تتفاخر بنسبها وتتنافس على مكانتها بين بعضها البعض.

ومع ظهور الإسلام، تغير مفهوم الشرف والامتيازات الاجتماعية بشكل كبير، فقد أصبح الولاء للإيمان بالإسلام، والمشاركة مع الأمة الإسلامية هو العامل الحاسم في تقدير مكانة الفرد في المجتمع، ومع ذلك أستمر التفاخر بالأنساب، ولكن أصبح هناك طبقة جديدة من "الأشراف" تتمثل في النسب إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وخصوصاً في قبيلة قريش، وبني هاشم، هذه الطبقة كانت تحظى بمكانة مرموقة بسبب ارتباطها المباشر بالرسول الكريم.

أما في عهد الدولة العباسية فإن الأشراف الهاشميين، كان لهم الحق بالتمتع برواتب شهرية من خزينة الدولة كامتياز لنسبهم، وكان مقدار هذه الرواتب يختلف حسب الخليفة العباسي الحاكم، وتتراوح تلك الرواتب ما بين الدينار، وربع الدينار

شهرياً للفرد، وكانت هذه الرواتب جزءاً من سياسة الدولة في مكافأة هذه الطبقة المميزة وضمان مكانتها الاجتماعية.

بالإضافة إلى الرواتب كانت هناك امتيازات معنوية، مثل تولي المناصب العامة في الدولة، كإمامة المساجد، والقضاء، وقيادة الحجاج إلى مكة لأداء فريضة الحج، مما أتاح لهم استمرار تأثيرهم الاجتماعي والسياسي.

الأحـــــرار: الأحرار في المجتمع العباسي كانوا يشملون فئات متعددة من الناس. في البداية، كان مصطلح "الأحرار" يشير إلى العرب من أبناء القبائل الذين كانوا يشكلون غالبية السكان في الدولة العباسية، هؤلاء كانوا يعتبرون من أصحاب المكانة الاجتماعية المرموقة نظراً لأنهم ينتمون إلى قبائل عربية أصيلة (10) وكانوا يتمتعون بحقوق وامتيازات أعلى مقارنة بغيرهم من الفئات.

إلى جانب هؤلاء العرب شمل مصطلح الأحرار أيضاً المسلمين من غير العرب الذين دخلوا في الإسلام واعتنقوه طواعية وكان لهم مكانة ضمن المجتمع الإسلامي إذ كانوا يتمتعون بالحرية والكرامة كما شمل الأحرار أيضاً أهل الديانات الأخرى من أبناء البلاد الأصلية الذين عاشوا في الراضي الإسلامية واستمروا في العيش بها مثل المسيحيين واليهود بشرط أنهم سالموا المسلمين وأقاموا معهم علاقات سليمة.

وقد كان هؤلاء الأحرار يتمتعون بحقوق وامتيازات اقتصادية واجتماعية ولكن بالطبع كانت هناك تفرقة في الحقوق والواجبات بينهم وبين طبقات أخرى مثل العبيد أو الفئات التي كانت خارج دائرة الأحرار مثل الأسرى أو الأسرى المسلمين الذين أصبحوا عبيد.

الموالـــــي : الموالي في المجتمع العباسي هم فئة من الناس يشار لهم الموالي وهم ليسوا من العرب الأصليين، بل كانوا من غير العرب مثل الفرس والأتراك والهنود الذين دخلوا في الإسلام أو أصبحوا تحت حماية الدولة الإسلامية، مصطلح" المولى "في هذا السياق له معاني متعددة، ويعتمد على السياق الذي يستخدم فيه، وقد حمل هؤلاء اسم الموالي عملاً بالآية الكريمة ﴿**فَإِن لَّمْ تَعْلَمُواْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ**﴾.(11)

ـــ المولى باعتباره ولي الأمر: يطلق على الشخص الذي يملك سلطة أو ولاية على شخص أخر، سواء كان في سياق الأسرة أو المجتمع أو الدولة

ـ **المولى باعتباره المعتق:** يشار إلى الشخص الذي عتق عبده، وهو ما يطلق عليه "مولى النعمة" في هذا السياق يعتبر المعتق "مولى" لمن أعتقه، ويعني بذلك أن العلاقة بين المعتق والمعتوق يشوبها الولاء والارتباط الشخصي.

ـ **المولى باعتباره الحليف**: قد يستخدم مصطلح "المولى " للدلالة على الشخص الذي انضم إلى قوم أوجماعة معينة من أجل الحماية أو الاحتماء بشرفها وقوتها، وهذه الظاهرة كانت شائعة في العصر الأموي والعباسي، حيث كانت تبرم عقود الموالاة بين العائلات العربية وبعض الأسر غير العربية (كالفرس والترك وغيرهم) لغرض الحماية والحصول على الامتيازات الاجتماعية والسياسية.

ـ **التأثير الثقافي للموالي**: مع مرور الوقت أصبح للموالي تأثير واضح في ثقافة المجتمع العباسي، خاصة في مجال الفلسفة والعلوم والفنون، حيث نجد أنه للفرس اسهام في تطوير المعرفة الفلسفية، والعلوم التي انتشرت مثل الفلسفة والطب والفلك والرياضيات.

وما يمكن قوله إن الموالي كانوا يمثلون أنموذجا ناجحاً في المجتمع العباسي للتعايش بين ثقافات واسعة ومتعددة تحت راية الإسلام.

الرقيـــــق : كان الرق موجوداً منذ العصور القديمة ، وكانت له أسباب متعددة ، مثل الحروب ، والفقر ، وانتشار الجريمة ، وقد قبلت بعض الفلسفات القديمة ،مثل الفلسفة اليونانية ، وجود الرق واعتبرته أمراً طبيعياً ؛ إنما الإسلام جاء بمفهوم مختلف ، حيث إنه لم يقر الرق كأمر دائم أو طبيعي ، بل جعله حالة استثنائية، تحدث فقط في ظروف محددة ، مثل وقوع شخص في الأسر أثناء حرب عادلة يخوضها المسلمون ضد من رفضوا الدعوة إلى الإسلام بعد أن بلغوا بها بشكل صحيح ، وعندئذ يفقد الأسير بعض حقوقه القانونية ، ويصبح مملوكاً لمن أسره ، ولكن الإسلام فرض على المسلمين معاملة الرقيق معاملة إنسانية، وشجع على تحريرهم في العديد من المواضع

ـ الرق في الشرع الإسلامي حدوث حقوق العبيد وواجباتهم

ـ العبد مملوك من سيده وجزء من ثروته التي يمكن أن يورثها لأبنائه

ـ الحر ملزم بنفقة عبده وكسوته وفي حال التوقف عن ذلك فللقاضي أن يحكم للعبد بكل حقوقه.

ـ للعبد على سيده أن يزوجه إذا رغب وليس للسيد إكراه العبد ما لا يحسنه

ـ أبناء العبد عبيد مثل والدهم للسيد، ولا يجوز تفريق الزوج العبد عن زوجته

ـ أبناء الحر من الآمة أحرار مثل والدهم، وأمهم تأخذ شرعاً اسم (أم ولد) وتصبح حرة بعد موت زوجها.

ـ السيد ملزم بأداء الغرامة عن العبد إذا أذنب هذا العبد.

ـ يمكن تجويز العمل للعبد ليكتسب، وذلك لقاء مبلغ يؤديه لسيده. (12)

هذه فئات المجتمع في العصر العباسي بشيء من الإيجاز وما ستقوم به هذه الفئات محورنا التالي.

الأعياد والمواسم والمواكب والاحتفالات:

أولاً ـ الأعياد والمواسم: اهتم العباسيين بالاحتفال بالعيدين، في شيء من الأبهة والعظمة، وكانوا يحتفلون بالعيدين احتفالا دينياً، فيؤم خلفاؤهم الناس في الصلاة، ويلقون عليهم الخطبة التي يكون محورها فضائل العيد، وما يجب على المسلمين مراعاته للمحافظة على شعائر الإسلام الدينية، فقد كانت مظاهر الإسلام تتجلى في الاحتفال بالعيدين في البلاد الإسلامية، وبخاصة في بغداد عاصمة الدولة العباسية

يعتبر شهر رمضان من أهم المواسم الدينية عند المسلمين، وله مكانة عالية لأنه من أهم أحد أركان الإسلام الخمسة، فكان الاحتفال به ليس فقط في التوقف عن الأكل والشرب فقط وإنما، بالمواساة والتعاون بين المسلمين، من خلال تقديم الطعام للمسلمين من الفقراء والمحتاجين ومد يد العون لهم، وتوزيع الزكاة عليهم ومد يد العون لهم، ويخصصون جزءاً كبيراً من هذا الشهر للعبادة والذكر وصلاة التراويح، كما يتم إعداد الولائم وموائد الإفطار والتجمعات العائلية عقب الإفطار.

كما أن الاحتفال بشهر رمضان كان يتسم بالتنظيم، حيث يتم تزيين الأماكن العامة بالأضواء والرايات، ويشعر الجميع خلاله بطابع من التكافل الاجتماعي والروح الدينية العالية.

وكانت المدن الإسلامية كبغداد في عهد العباسيين، يوضع في أرجائها الأنوار في ليالي رمضان، وتزدحم الأنهار بالقوارب المزينة بأبهى الزينات استعداداً لليالي عيد الفطر، ويلبس الناس في العيد في الدولة العباسية الملابس السوداء تشبها بالخلفاء العباسيين الذين اتخذوا من السواد شعاراً لهم، وكان بعضهم يتخذ بدل العمائم قلانس طويلة مصنوعة من القصب والورق مجللة بالسواد، ويلبسون بدل الدروع درعاً مكتوب عليها ﴿ **فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ** ﴾، وقد عني العباسيون إلى جانب الاحتفال بالعيدين ، بالاهتمام ببعض الأعياد التي ورثوها عن الفرس، كالنوروز والمهرجان التي أصبحت في العصر العباسي من أهم أعيادهم الرسمية ،

وكان احتفال العباسيين بالمهرجان بتبادل الهدايا الكثيرة ، كهدايا السكر ، وفي هذا الاحتفال يكثر الهرج والملاهي واللعب والفرح والسرور.

الاحتفالات: لقد بالغ العباسيون في الاهتمام بالاحتفالات، وأضفو عليها طابع الروعة والجمال، فلقد أقام الخليفة العباسي المقتدر حفلة رائعة احتفالا بقدوم رسل من بلاط الإمبراطورية الرومانية أوفدهم الإمبراطور الروماني، لغرض الاتفاق على عقد هدنة مابين الطرفين وذلك سنة 305هـ

وقد وصف المؤرخ السيوطي ذلك الاحتفال:" وفي سنة 305هـ قدمت رسل الروم بهدايا وطلبت عقد هدنة، فعمل المقتدر موكباً ضخم فأقام العسكر وصفهم بالسلاح وهم مائة وستون ألفاً، من باب الشماسية إلى دار الخلافة، وبعدهم الخدام وهم سبعة ألاف خادم، ويليهم الحجاب وهم سبعمائة حاجب، وكانت الستور التي نصبت على حيطان دار الخلافة ثمانية وثلاثين ألف ستراً، ومن الديباج والبسط اثنين وعشرين ألفاً إلى غير ذلك ...."

لقد كان الخلفاء العباسيون يبالغون في الإسراف على الاحتفالات والدليل على ذلك مدى الإسراف الذي بالغ فيه خلفاء العصر العباسي الأول في بذخهم بما فعله الخليفة المهدي عندما زوج إبنه هارون الرشيد من السيدة زبيدة ، وما أنفقه الخليفة المأمون زواجه من السيدة بوران بنت الحسن بن سهل ، والذي تجلى إسرافه وبذخه في هذا الزواج ، كما تجلى بذخ العباسيين والطولونيين في زواج الخليفة العباسي المعتضد من أسماء المعروفة بقطر الندى إبنة خمارويه بن أحمد بن طولون ، حيث قام خمارويه بصرف أموال ضخمة ، فقد ذكر ابن دقمان أنه : حمل معها ما لم يرى مثله ولا يسمع إلا في وقته"(13)

المواكب: لقد حضيت مواكب الخلفاء العباسيين بتميز عما كانت عليه مواكب الأمويين، وبخاصة في أيام الجمعة، وكذلك مواكب السفر لأداء فريضة الحج، فقد كان محفل السفر إلى الحجاز مميزاً منذ أن ينطلق من بغداد إلى الحجاز والعودة منها، وفي أيام الجمعة الأخيرة من شهر رمضان، كانت تزدان الأزقة والشوارع والدكاكين والأسواق، التي يمر بها موكب الخليفة وهو في طريقه إلى أداء صلاة الجمعة، ويقف جمع كبير من الناس لتحية موكب الخليفة (14)

حركة الشعوبيـــــــة:

مفهوم "الشعب " في التصنيف الاجتماعي لقد اشتقت كلمة "الشعب " من لفظة "الشعوب "، وهي مدلول لغوي يدل على جماعة كبيرة من الناس الذين تجمعهم هوية

عامة أو أصل مشترك في علم الأنساب والتقسيمات القبلية، يعد "الشعب "أعلى وحدة اجتماعية، ويأتي بعده تسلسل هرمي في الوحدات الأصغر، ويرتب هذا التسلسل من الأكبر إلى الأصغر كالتالي:

1- الشعب: وهو المجموعة الكبرى مثل العرب ، أو الفرس ، أو الروم.

2- القبيلة: وهي جزء من الشعب مثل قريش من العرب

3- العمارة: وهي مجموعة من البطون داخل القبيلة

4-البطن: وهي جزء من العمارة

5- الفخذ: وهو جزء من البطن

6- الفصيلة: وهي أصغر وحدة، وتشير إلى الأسرة الممتدة أو العائلة

ومن أمثلة ذلك: العرب يعدون شعباً وتندرج تحتهم قبائل عديدة مثل قريش، التي تنقسم بدورها إلى عمائر، ثم بطون، وفخوذ، وفصائل.

لقد اشتهر العصر العباسي بظهور حركة الشعوبية بين الموالي وبالصراع بينهم وبين العرب ذلك أن الأعاجم شعروا في العصر العباسي الأول بقوتهم ونفوذهم.

فتجرؤوا على الكلام ومع ذلك فإن العباسيين لم ينسوا عروبتهم وأصبحت الشعوبية تطلق على "العداء للعرب " وحققت الشعوبية في العصر العباسي الأول مطلباً فأعلنت أرائها في جميع المجالات.

لقد بلغت حركة الشعوبية أوجها في القرن الثالث الهجري، وساعد على ذلك أن الخلفاء العباسيين الذين تعصبوا للإسلام، ولم يتعصبوا كثيراً للعربية، فحاربوا الزندقة

الثقافـــــة:

أهم المراكز الثقافية:

المراكز الثقافية في الدولة العباسية: انتشرت الثقافة الإسلامية في العصر العباسي انتشارا يدعو إلى الإعجاب، بفضل حركة النقل والترجمة من اللغات الغير العربية إلى اللغة العربية، كاللغة اليونانية، واللغة الفارسية، والهندية، وظهر جيل واعي مكن المسلمين أنفسهم بالبحث والتأليف، وشجع العلماء على البحث والترجمة والتأليف، مما جعل الخلفاء يشجعون العلماء والأدباء، فأتسع أفق الفكر الإسلامي، بتجوال المسلمين وسفرهم بين البلدان، بحثاً على الوثائق وترجمتها.

أهم المراكز الثقافية: من أهم المراكز الثقافية في الدولة العباسية ما يلي: ـ

1- أصبهان أو الري: – حيث أقام بوجه عام الصاحب إسماعيل بن عباد الذي تقلد لمؤيد الدولة بن ركن الدولة ، وشهد بلاط بني بويه تدفق العلماء ورجال الأدب وزاد من أنشطته العلمية والأدبية.

البلاط اليماني في بخارى التي وصفها الثعالبي في عبارة جاء فيها: " كانت بخارى في الدولة اليمانية بمثابة مجد ن وكعبة الملك، ومجمع أفراد الزمان، ومبلغ نجوم أدباء الأرض، وموسم فضلاء الدهر "(15)

أهم الثقافات في العهد العباسي:

لقد انتشر في العهد العباسي عدة ثقافات، كان لها أثر على أفكار الناس وعقولهم ومن هذه الثقافات:

1- الثقافة الفارســـــية : انتشرت هذه الثقافة في العصر العباسي الأول ، وكان انتشارا واسعاً وساعد على ذلك أمران ، أولهم إنشاء منصب الوزارة وإسناده غالبا إلى الفرس ،وثانيهم انتقال العاصمة من دمشق إلى بغداد ، وبمعنى آخر من الشام إلى العراق ، وكان من أكبر بواعث العباسيين على هذا الانتقال أن دمشق كانت عاصمة الأمويين ،وكانت ضلع الشام مع بني أمية فمن حزم العباسيين ألا تكون عاصمة الدولة الجديدة بين الشاميين وتحت رحمتهم ، وفوق ذلك أن الشام بعيدة جداً عن خراسان ، منبع ثورة العباسيين ، ومصدر الدعوة ، وذخيرة العباسيين وعمادهم، وأما بالنسبة لتأثير الثقافة الفارسية على الثقافة الإسلامية فكان في نواحي عديدة على سبيل المثال لا الحصر .

أولاً: تأثرت بعض الألفاظ اللغوية باللغة الفارسية، كما أنه هناك أثر واضح في جميع مرافق الحياة، من أدوات الزينة والمأكل والملبس، والآلات الموسيقية، والدواوين ونضمها ....الخ

.ثانياً : ورث الفرس منذ القدم موروث ثقافي كبير تمثل في العلم والأدب، فعندما دخل الفرس في نطاق الدولة العباسية ، وبدأ الاحتكاك بين العنصرين العربي والفارسي ما أدى إلى نشؤ ثقافة متوازية اكتسبت من خلال ذلك الاحتكاك.

وتعد مكتبة نوح بن نصر لساماني من المكتبات التي ليس لها مثيل، بما تحتويه من كتب قيمة.

3- بلاط شمس المعالي قابوس بن شمكير في طبرستان القريبة من بحر قزوين وقد وصفه المؤرخ عبد الرحمن الثعالبي فقال:" خاتم الملوك وعزة الزمان ، ينبوع العدل

والإحسان ومن جمع الله له إلى عزة الملك سبطه للعلم ، وإلى فضل الحكمة نفاذ الحكم ، فأوصافه لاتدرك بالعبارات ، ولاتدخل تحت العرف والعادات ".

4- بلاط السلطان الغزنوي (محمود الغزنوي) في مدينة غزنة وقد لاقى شهرة واسعة ، ونقل الكثير من المؤلفات إلى مدينة غزنة ، ويعد من أشهر السلاطين الأدباء والذين اهتموا بالأدب.

5 – البلاط الحمداني في مدينة الموصل والذي يعتبر من أهم الروافد الذي يقصده الأدباء والشعراء في مواسم الشعر والأدب ، وكان ذلك بحضرة السلطان سيف الدولة

6- بلاط الفاطميين في مصر حيث اشتهرت مصر في هذه الفترة بتداول حلقات الشعر والشعراء والأدب والأدباء.

7- بلاط الطولونيين والإخشيديين في مصر حيث اشتهرت مصر في هذه الفترة بظهور جمع كبير من العلماء والأدباء والمتصوفة والمحدثين من أمثال: القاضي بكار ، وأبا الفيض ذا النون ، والربيع بن سليمان تلميذ الأستاذ الشافعي.

الثقافات في العصر العباسي :

تميز هذا العصر بظهور خمسة أنواع من الثقافات، كان لها أبلغ الأثر في المجتمع العباسي وهي كما يلي:

أولاً ـ الثقافة الفارسية: لقد انتشرت الثقافة الفارسية في العصر العباسي الأول وساعد على ذلك أمران :

الأول : إنشاء منصب الوزارة ، وإسناده غالباً إلى الفرس.

الثاني : انتقال عاصمة الخلافة من دمشق إلى بغداد .

وما نراه في هذا العصر هو استحداث منصب الوزير الذي لم يكن موجوداً أو معروفاً لا في دولة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا في عصر الخلفاء الراشدين .

ولم تكن كلمة الوزير(16) بدعة في العصر العباسي ، إنما المبتدع هو إنشاء هذا المنصب ، ومنح صاحبه السلطة الرسمية وتلقيبه بهذا الاسم ، وهو منصب فارسي الأصل ولم يكن معروفاً قبل العصر العباسي ، قال ابن خلكان :" إن أبو سلمه حفص بن سليمان الخلال أول من وقع عليه اسم الوزير ، وأشتهر بالوزارة في دولة بني العباس"(17)

ثانياً ـ الثقافة الهنديـــــة: لقد أتصل العرب منذ العصر الجاهلي بالهند عن طريق التجارة ، وقد عرفت الهند بطيب عودها الذي كان يجلب منها ، وبعدما فتح المسلمون الهند ، حيث قام الحجاج محمد بن القاسم الثقفي بفتح جزء كبير منها ،فأصبحت تابعة

لممتلكات الدولة العربية الإسلامية في آسيا، ومنذ سنة 142م ، بدأت الثقافة الهندية في الانتشار وزاد تأثيرها في الدولة العربية الإسلامية، وكان ذلك التأثير تأثير مباشر باتصال المسلمين أنفسهم بالهند عن طريق التجارة، وعن طريق الفتح.

وتأثير غير مباشر، وذلك بنقل الهنود لثقافتهم عن طريق الفرس الذين اتصلوا بالهند قبل الفتح، فأخذوا الكثير من الثقافة الهندية وأدمجوها مع ثقافتهم، ولما نقلت الثقافة الفارسية إلى العرب نقلت جزء كبير معهم من الثقافة الهندية، حيث أشتهر الهنود في الحساب، وعلم النجوم، وأسرار الطب، وبعض الصناعات كصناعة الأخشاب وغيرها.

وقد أثّـــر الهنود في الثقافة العربية وتأثروا بها ومن ذلك أمثلة كثيرة فمثلاً كان الأدب العربي قد استفاد من الهند في عدة نواحي.

1- تم تعريب بعض الألفاظ الهندية منها : كلمة زنجبيل ، وكلمة كافور، كما نقلت بعض الكلمات من العربية للهندية مثل : كلمة أبنوس ، وكلمة الببغاء ، وكلمة الخيزران ، وكلمة فلفل وعيرها.

2- كما كان لبعض القصص تأثير مباشر ، وخير مثال عن ذلك قصة (كليلة ودمنة)، فالقصة ترجع في أصولها إلى الهنود فنقلها عنهم الفرس وبدورهم نقلوها للعربية (18)

ويرى الباحث أن امتزاج الفكر العربي بغيره من الثقافات الأخرى كالهندي التي لازالت معالمها حتى الآن وخير دليل قصة كليلة ودمنة.

الثقافة العربيـــــة: والتي تتمثل في عاملين هامين هما:

الأول - العامل الديني : وهي دراسة القرآن الكريم ، والسنة النبوية والحديث والفقه والعبادات وما كان لكل منهم من أثر ايجابي في المجتمع العباسي وما صاحب ذلك من توسع في عملية الفتح العربي الإسلامي مما زاد في توسع المدارك لدى الفاتحين ممن أستقر بعد عملية الفتح وما تبع ذلك من تأثير وتأثر بثقافات شعوب البلدان المفتوحة ، وذلك أن الجزيرة العربية هي منبع اللغة العربية ، ومولد الإسلام ، والعرب هم الذين حملوا معهم لغتهم أينما ذهبوا ، والرسول محمد صل الله عليه وسلم عربي والقرآن الكريم نزل بلسان عربي ، والدعاة إلى الإسلام عرب ، من هنا يمكننا أن نستنتج أن الدين واللغة العربية هما نتاج ذلك التوسع ، ويمكننا طرح تساؤل ما هي النظم التي سادت تلك المرحلة ن وللإجابة لابد من التطرق إلى بعض من جوانب النظم العربية والتي تأتي في أولها اللغة .

اللغة العربيـــــة: تعتبر اللغة العربية من أرقى اللغات في العالم، فلا تعادلها أي لغة في العالم، فهي تمتاز بكثرة مرونتها التي جعلتها أن تكون لغة القرآن الكريم.

لقد واجه العرب في العصر العباسي صعوبة كبيرة في نقل اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، وفي وضع مصطلحات لعلومها، كالنحو والفقه، واكتشفوا أنهم أمام علوم جديدة وغريبة، وأنهم أمام أفكار مبعثرة، وأن رقعة الدولة العربية الإسلامية قد اتسعت، واختلفت أقاليمها، وقد استحدثت دواوين لم تكن ومجودة في العصر الأموي، وقد واجه العرب الحضارة العباسية كما واجه العرب اليوم الحضارة العربية، وأن معجم اللغة العربية في العصر العباسي قد تضخم في ناحيتين هما:

ـ التوسع في مدلول الكلمات العربية.

ـ نقل الكلمات الغير العربية إلى العربية.

وكما أن نتاج الأمة العربية ، اللغوي والأدبي في هذه القرون الثلاثة، (قرناً ونصف قبل البعثة ، وقرناً ونصف بعد البعثة) (19) كان نتاجاً كبيراً تمحور في الجانب الأدبي ، وتمثل في سيرة الرسول الكريم صل الله عليه وسلم ، وغزواته ،وفتوحه، وأوامره ونواهيه ، وأخبار الخلفاء الراشدين وما تخللها من أدب ، وشعر ، وقصص بطولات الفاتحين ، وما تكون من مذاهب دينية ، كالخوارج ، والشيعة ، والمعتزلة ، والمرجئة وكانت الثقافة العربية ركن من أركان الثقافات في ذلك العصر ، وعنصراً هاماً من عناصرها لا تقل عن غيرها من العناصر(20) اجتاح المغول بغداد سنة 1258 م ، وأنهى بذلك حقبة عاشتها الدولة العربية الإسلامية فعليا، مع بقاء خلافة صورية لاحقاً في القاهرة تحت حماية المماليك.

الخاتمـــــة:

وما يمكن استخلاصه أن للدولة العباسية مجموعة من السمات مثلتها بعض الخصائص منها السياسية، والدينية، والاقتصادية، والثقافية، والتي ميزت هذه الدولة عن غيرها من الدول الإسلامية ومن أبرز تلك السمات:

السمة الأولى ـ الطابع الديني والسياسي: اعتمدت الدولة العباسية على الشرعية الدينية ورفعت شعار الرضى من آل البيت، لتكسب بذلك تأييد قبيلة قريش والقبائل العربية المسلمة. وركز الحكام العباسيون على تقوية مركز الخلافة، وأدعوا أنهم خلفاء شرعيين بعد الأمويين، لكونهم من آل البيت (آل بيت النبي محمد صل الله عليه وسلم، ومن نسل العباس بن عبد المطلب)

السمة الثانية – اتســـــاع وكبر رقعة الدولـــــة: امتدت الدولـة العباسية مـن بـلاد مـا وراء النهر شرقاً حتى المغرب العربـي غربـاً، مـا جعلهـا مـن أكبـر الـدول الإسـلامية مساحة.

السمة الثالثة ـ الاهتمام بالعلم والثقافة: ازدهرت العلوم والفنون والأدب في عهدهم، وبخاصة في العصر الذهبي، عصر هارون الرشيد، والمأمون، وإنشاء بيت الحكمة في بغداد كمركز للترجمة والبحث العلمي.

السمة الرابعة ـ التعدد العرقي والثقافـــي: اعتمد العباسيون على العناصر الغير العربية (مثل الفرس والسلاجقة الأتراك) في إدارة شئون الجيش، مما زاد من التنوع الثقافي في الدولة. ولقد سهم هذا التنوع في بناء نهضة حضارية وفكرية وثقافية، إلا أنه ساهم في ضعف وحدة الدولة لاحقاً

السمة الخامسة ـ نقل مركز الحكم إلى العراق: انتقل مركز الحكم من دمشق إلى بغداد التي أصبحت عاصمة الدولة، ومركزاً حضارياً عالمياً.

السمة السادسة: الضعف والا ظهرت عدة دول مستقلة، داخل جسم الدولة العباسية مثل: الطولونيين، والغزنويين، والبويهيين، مما قلل من هيبة الحكام العباسيين.

السمة الخامسة ـ نقل مركز الحكم إلى العراق: انتقل مركز الحكم من دمشق إلى بغداد التي أصبحت عاصمة الدولة، ومركزاً حضارياً عالمياً.

السمة السادسة ـ الضعف والانحلال: ظهرت عدة دول مستقلة، داخل جسم الدولة العباسية مثل: الطولونيين، والغزنويين ، والبويهيين، مما قلل من هيبة الحكام العباسيين. وأعتمد العباسيون على العناصر الغير العربية (مثل الفرس والسلاجقة الأتراك) في إدارة شئون الجيش، مما زاد من التنوع الثقافي في الدولة.

الهوامـــــــش:

1- سورة الحجرات ، الآية رقم (2)
2- سورة الحجرات ، الآية رقم (9)
3- محمد الخطيب، تاريخ الحضارة العربية ، ج1 ، دار علاء الدين ، بيروت ، لبنان ، دت ، ص 394
4 سوزي حمود ، الدولة العباسية مراحل تاريخها وحضارتها،(132-656هـ / 750-1258م)، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ،2015م ، ص ص 13-14
5- حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج2ط7، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان، 1964م ، ص 395
6- حسن أحمد معصور ، أحمد إبراهيم الشريف ، العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي ، بيروت ، ص ص 179-177
7- محمد الخطيب ، مرجع سابق ، ص 353
8- خالد عثمان حمدامين ، صناعة الورق في العصر العباسي، جامعة يوزنجوبيل ، وان ، 2018م ،ص 5
9- نبيلة حسن محمد ، تاريخ الدولة العباسية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر، 1993م، ص65
10- المرجع نفسه ، ص ص 160، 161[1]
11- سورة الأحزاب ، الآية رقم (5)
12- محمد الخطيب ، مرجع سابق ، ص 362
13-ابن دقمان الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، ج4، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ص 67
14-حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج3ط15، دار الجيل ، بيروت ، لبنان، 1411 هـ/1991م ص ص 460-461-462
15-أحمد أمين ضحى الإسلام ج3، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، 2004م ، ص ص 37-38
16-محمد مسفر الزهراني، نظام الوزارة في الدولة العباسية ، مؤسسة الرسالة ،بيروت، 1980م ، ص 71
17 – ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،ج4 ، تح ،إحسان عباس، دار صادر بيروت ، 1978، ص47
18- أحمد أمين ، مرجع سابق ، ص ص 521، 522[1]
19- أحمد شلبي موسوعة التاريخ الإسلامي والموسوعة الإسلامية ، ج3، مكتبة النهضة المصرية ، ط7، القاهرة ، 1982م ، ص 205[1]
20- احمد أمين ،الرجع السابق ص82 ،83